2/البلاغة في صدر الإسلام:

وأخذت تنمو تلك العناية بعد ظهور الإسلام، بفضل ما نهج القرآن ورسوله الكريم من طرق الفصاحة والبلاغة؛ أمّا القرآن فكانت آيته تتلى أناء اللّيل وأطراف النّهار، وأمّا الرّسول فكان حديثه يذاع على كلّ لسان، وكانت خطبه ملء الصّدور والقلوب، وفيه يقول الجاحظ: إنّه "لم ينطق إلاّ عن ميراث حكمة، ولم يتكلّم إلاّ بكلام قد حفّ بالعصمة...وهو الكلام الّذي ألقى الله عليه المحبّة وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلّة عدد الكلام، ومع استغنائه عن إعادته، وقلّة حاجة السّامع إلى معاودته...ثمّ لم يسمع النّاس بكلام قطّ أعمّ نفعا ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلّم".

وفي أخبار الرّسول ما يدلّ على أنّه كان يعنى أشدّ العناية بتخيّر لفظه؛ فقد أثر عنه أنّه كان يقول: "لا يقولنّ أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي" كراهة أن يضيف المسلم الخبث إلى نفسه.

وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي خطباء مفوّهين، وكانوا يستضيئون في خطاباتهم بخطابة الرّسول الكريم وآيّ الذّكر الحكيم، وربّما كان ممّا يدلّ على شيوع دقّة الحسّ حينذاك ما يروى عن أبي بكر من أنّه عرض لرجل معه ثوب، فقال له: أتبيع الثّوب؟ فأجابه: لا، عفاك الله. فتأذّى أبو بكر ممّا يوهمه ظاهر اللّفظ؛ إذ قد يظنّ أنّ النّفي مسلّط على الدّعاء، فقال له: "لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا وعفاك الله"، ويضرب الرّواة مثلا لبلاغة عمر أنّه كان يستطيع أن يخرج الضّاد من أيّ شدقيه شاء، وكان عليّ وعثمان لا يباريان فصاحة وبلاغة.